

تفسير البحر المحيط

@ 20 @ اللّٰهَ مَآ اسْتَطَاعْتُمْ ° { أمروا أولاً بغاية التقوى حتى لا يقع إخلال بشيء ثم نسخ . وقال ابن عباس ، وطاوس : هي محكمة . { وَاتَّقُوا اللَّهَ * مَا اسْتَطَاعْتُمْ } بيان لقوله : اتقوا □ حق تقاته . وقيل : هو أن لا تأخذه في □ لومة لائم ، ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه . وقيل : لا يتقي □ عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه . وقال ابن عباس : المعنى جاهدوا في □ حق جهاده . وقال الماتريدي : وفي حرف حفصة اعبدوا □ حق عبادته . وتقاة هنا مصدر ، وتقدم الكلام عليه في { إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا ° مِنْهُمْ ° تُقَاتَةٌ } . .

قال ابن عطية : ويصح أن يكون التقاة في هذه الآية جمع فاعل وإن ° كان لم يتصرف منه ، فيكون : كرماً ورام ، أو يكون جمع تقي ، إذ فاعل وفاعل بمنزلة . والمعنى على هذا : اتقوا □ كما يحق أن يكون متقوه المختصون به ، ولذلك أضيفوا إلى ضمير □ تعالى انتهى كلامه . وهذا المعنى ينبو عنه هذا اللفظ ، إذ الظاهر أن ° قوله : حق ° تقاته من باب إضافة إلى موصوفها ، كما تقول : ضربت زيداً شديداً الضرب ، أي الضرب الشديد . فكذا هذا أي اتقوا □ الاتقاء الحق ، أي الواجب الثابت . أما إذا جعلت التقاة جمعاً فإن ° التركيب يصير مثل : اضرب زيداً حق ضرابه ، فلا يدل هذا التركيب على معنى : اضرب زيداً كما يحق أن يكون ضرابه . بل لو صرح بهذا التركيب لاحتج في فهم معناه إلى تقدير أشياء يصح بها المعنى ، والتقدير : اضرب زيداً ضرباً حقاً كما يحق أن يكون ضرب ضرابه . ولا حاجة تدعو إلى تحميل اللفظ غير ظاهره وتكلف تقادير يصح بها معنى لا يدل عليه ظاهر اللفظ . .

{ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا - وَأَنْتُمْ مَّسْلُمُونَ } ظاهره النهي عن أن يموتوا إلا وهم متلبسون بالإسلام . والمعنى : دوموا على الإسلام حتى يوافقكم الموت وأنتم عليه . ونظيره ما حكى سيبويه من قولهم : لا أرينك ههنا ، وإنما المراد لا تكن هنا فتكون رؤيتي لك . وقد تقدم لنا الكلام على هذا المعنى مستوفى في سورة البقرة في قوله : { إِنْ - اللَّهَ - اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ } الآية والجملة من قوله : وأنتم مسلمون حالية ، والاستثناء مفرغ من الأحوال . التقدير : ولا تموتن على حال من الأحوال إلا على حالة الإسلام . ومجيئها إسمية أبلغ لتكرر الضمير ، وللمواجهة فيها بالخطاب . وزعم بعضهم أن ° الأظهر في الجملة أن يكون الحال حاصلة قبل ، ومستحبة . وأمّا لو قيل : مسلمين ، لدل ° على الاقتران بالموت لا متقدماً ولا متأخراً . .

{ وَاعْتَصِمُوا ° بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً } أي استمسكوا وتحصنوا . وحبل □ :

العهد ، أو القرآن ، أو الدين ، أو الطاعة ، أو إخلاص التوبة ، أو الجماعة ، أو إخلاص التوحيد ، أو الإسلام . أقوال للسلف يقرب بعضها من بعض . وروى أبو سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال : (كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض) . وروى عنه صلى الله عليه وسلم) أنه قال : (القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا تخلق على كثرة الرد) من قال به صدق ، ومن عمل به رشد ، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم)